سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه حركات التحرر الوطني غرب أفريقيا 1945 - 1960 (غينيا – غانا – ساحل العاج – نيجيريا)

نجوى عبد المنعم أحمد مرسي

الخطط السوفيتية لدخول أفريقيا

إن تطلعات السوفيت لا تدل مطلقاً على محاولات لهم نحو استراتيجية معينة بأفريقيا ، حتى فى ذروة الحرب الباردة ، لكن تبدلت الأحوال نهاية الخمسينات [1].

وهناك أدلة حقيقية تشير إلى أن السياسة السوفيتية الخارجية في الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية اعتمدت على افتراض عودة الولايات المتحدة إلى دور عالمي، يشابه ذلك الذي تبنته في العشرينات، وخاصة دورها في أوربا، وهذا الافتراض هو السبب الرئيسي لاعتقاد الاتحاد السوفيتي أن القرار الأمريكي الخاص بالاستمرار في اتباع سياسة نشطة في شؤون العالم القديم على أساس نشر قواعدها في العالم يعد موقفا عدوانيا، وعلى أي الأحوال فإن السياسة السوفيتية كانت واضحة فقد أعلن ستالين بنفسه في فبراير 1946 إنه بعد انتهاء الحرب فإن الاتحاد السوفيتي سوف يعود مرة أخرى إلى صراعه ضد القوى الرأسمالية[2].

فقد قال ستالين<< .. إن ثورة أكتوبر قد أرست أسس الاتصال والتقارب بين الغرب الاشتراكي والشرق المستعبد، وذلك يفتح جبهة للثورات تمتد من الطبقات الكادحة في الغرب مارة بطريق الثورة الروسية، وتصل إلى الشعوب المضطهدة في الشرق.. >> ، ويرى ديوب أن شعار ستالين هذا ينطبق على أفريقيا ويستشهد بماوتسي تونج أيضًا حيث قال<< ..إذا رفضنا المعونة السوفيتية انهزمت الثورة.. >>[3].

لكن كان الاتحاد السوفيتى بحاجة للانتقال إلى الشرق ، فكان عليه أن يظهر سياستها كقوة عظمى ، فبعد الحرب العالمية الثانية وخلال الحرب الباردة حدثت تغيرات أدت

لانحراف اتجاه النظر للشرق إن بداية إنهيار النظام الاستعمارى ، وتشكيل الدول المتحررة كمواضيع وركائز للعلاقات الدولية ، ومحاولات الدول الأفريقية المستعمرة للمطالبة بالتحرر وعرض قضيتها فى المحافل الدولية ، وكان أول ظهور مرئى للسوفيت هو مؤتمر باندونج عام 1955 [4].

وقد حضر مؤتمر باندونج ممثلون للدول الأفريقية أثيوبيا , ساحل الذهب (غانا) , ليبريا , ومصر، والسودان، وليبيا وأهمية مؤتمر باندونج ترجع إلى أنه أوضح بجلاء للأفريقيين وللآسيويين بل وللعالم أجمع مبلغ ما تستطيع أن تحققه هذه الدول الأفريقية، تلك الدول التي كانت تنظر إليها الدول الأوروبية المستعمرة على أنها لا تقدم ولا تؤخر، وقد خرجت الدول الأفريقية والآسيوية من مؤتمر باندونج بمبادئ وشعارات (كالحياد الإيجابي) أو (التعايش السلمي)، كما أن قرارات المؤتمر في مختلف المجالات سواء مجال التعاون الاقتصادي أو الثقافي أو السياسي كانت كلها تعالج مشاكل تشكو منها كل دولة من دول القارة الأفريقية[5].

فى عام 1955 أيضاً قام خروشف برحلة استغرقت 32 يوماً إلى الهند وبورما وأفغانستان. كان لتلك الزيارة أثر كبير فى نفوس النخبة السوفيتية فيما يتعلق بآمال السياسة تجاه الشرق . فيبدو أن الشرق كان مفتوحاً لهجوم سلمى وانتصار أيضاً من قبل الاتحاد السوفيتى ، والذى سيجره تدريجياً إلى مدار نفوذه ، تساعده فى توجيه ضربة قوية للغرب. وهذا ما عبر عنه أكاديمى روسى يدعى إى .إم .مايسكى فى رسالة أرسلها إلى خروتشوف ، حيث قال فيها "أن المرحلة التالية من النضال من أجل تفوق الاشتراكية فى العالم سوف تمر بتحرير الشعوب الاستعمارية وشبه الاستعمارية من الاستغلال الإستعمارى "فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية "أيضاً كتب "إن الصراع فى تلك المرحلة يأتى مواتياً للاتحاد السوفيتى أكثر من أوربا والولايات المتحدة الأمريكية . فى الوقت نفسه فإن خسارة القوى الاستعمارية لمستعمراتها يجب أن يعجل بإنتصار الاشتراكية فى أوربا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، حيث رأى مايسكى خلال عمله بلندن كسفير فى ثلاثينات القرن العشرين أن جماهير البروليتاريا فى بريطانيا تزداد يوماً بعد يوم وتأخذ طريقها للاشتراكية وستتجه أكثر فأكثر بعد ضياع الكثير من مستعمراتها [6].

لكنه كان من المستحيل أن تأخذ أفريقيا اهتمام ستالين ، ففى عهده لم تكن أفريقيا ذو قيمة جيوسياسية للاتحاد السوفيتى ، بالإضافة إلى قادة حركة التحرر الأفريقية ، الذين لم يلتزموا بالآراء الشيوعية .فقد اعتبروها برجوازية قومية ، غير موثوق بأفكارهم . بالإضافة لثقة بعض قادتهم فى الإستعمار (7).

حيث اعتبر القادة السوفيت جميع دول عدم الانحياز بمثابة تحول العالم الاستعمارى عن الخلفية الصلبة للاستعمار وأصبحت فى وضع ضعيف بعد أن شعرت بوضوح "بروح العصر "وتغير الدول والمطالبة بالاستقلال ، لذا أعلنت قيادة الاتحاد السوفيتى أن حركات التحرر الوطنى فى بلدان آسيا وأفريقيا جزء من "العملية الثورية العالمية "، والذى بدأ ينظر إلى قادته كحلفاء فى الكفاح ضد الاستعمار ، بغض النظر عن ميولهم السياسية وموقفهم من الماركسية (8).

فجاء الاتحاد السوفيتى مؤيداً لإستقلال أفريقيا ، وأدرك مدى ردود فعل دول أوربا من الدول المحايدة .وأعرب عن ذلك فى أن معظم ممثلى الدول الأفريقية رفضت المشروع الذى يتضمن الاستقلال الاقتصادى عن الاستعمار ، وهو مشابه جداً لمطالب مشروع السوفيت ، وتمت الموافقة على مشروع الإعلان الأفروآسيوى ، الذى لا يحتوى على شروط محددة من توفير الاستقلال للأقاليم المستعمرة وتحقيق المساواة فى أفريقيا ، مع مراعاة الخطط العامة طويلة الأجل للتحديث الاقتصادى والتنمية الاقتصادية الوطنية المستقلة .فإن السياسة الخارجية السوفيتية فى البداية لم تدرك الاستراتيجيات الخاصة بالدول الأفريقية أو خصائص القارة جيداً ، وعند صياغة المفاهيم تم توجيهها بأفكار قائمة على عقائد الماركسية ، والتى كانت بعيدة جداً عن الواقع الأفريقى (9).

لكن بدأ الوضع فى التغير تدريجياً .فقد شهد عام 1960 تاريخاً هاماً لإفريقيا ، حيث ظهرت 17 دولة ذات سيادة على خريطة القارة .

أقام الاتحاد السوفيتى علاقات مع الدول الأفريقية الشابة المحررة ، مع مراعاة ليس فقط مصالح كلا الطرفين ، ولكن أيضاً حقائق الحرب الباردة .الذى جعل العالم ينقسم إلى معسكرين متناقضين ، ومحاولة اكتشاف من سيفوز فى المواجهة ، فكلاً من الاتحاد السوفيتى

والولايات المتحدة الأمريكية لا تفكر فقط فى التفوق العسكرى وسباق التسلح ، ولكن أيضاً حول أكبر عدد من الحلفاء الذين يدعمون اتجاهاتهم وخطواتهم على الساحة العالمية .لذلك رأت كلاً من القوتين فى دول آسيا وأفريقيا المحررة من الاستعمار حلفاء محتملين لهم بالمستقبل (10).

إن أهداف التعاون بين الاتحاد السوفيتى وأفريقيا كانت واضحة .لتطوير العلاقات المتبادلة سواء سياسية أو اقتصادي وقد تم تشكيل الإطار القانونى ، وأعلنت أهداف التعاون الثقافى والعلمى للاتحاد السوفيتى مع الدول الأفريقية (11).

كانت أهدافالسوفيت تسعى لمكافحة أساليب الاستعمار الجديدة ، عقب الاستقلال والمساعدة فى إتقان الأفكار الإشتراكية العلمية ، والمساعدة فى تطوير العلوم والثقافة الوطنية ، والمساعدة فى تبادل القيم الثقافية للفنون والأدب الوطنى فى إطار التعاون الثقافى والعلمى بين الاتحاد السوفيتى والاتحاد الأفريقى لتبادل الخبرات فى مجال العلوم واستقبال وإرسال الوفود العلمية والعلماء والباحثين والمختصين والخبراء وطلاب الدراسات العليا والمتدربين والوثائق العلمية والتقنية والمعلومات(12).

كما تم تضمين رحلات قام بها العلماء لإلقاء المحاضرات فى مجالات علمية معينة ، ودعوة متبادلة للعلماء للعمل فى المراكز العلمية والتعليمية ، والمساعدة فى توثيق الاتصالات بين العلماء ، وتشجيع تدريب الموظفين الوطنيين ، وتنظيم المكتبات لتبادل الكتب العلمية، واستيراد وتصدير المعدات ، والاعتراف بمعادلة الشهادات كما أرسلوا كتباً مدرسية إلى المراكز التعليمية الأفريقية لتبادل الخبرات فى المنتديات العلمية وتنظيم معارض للإنجازات العلمية والتكنولوجية. مع مرور الوقت أصبحت هذه الاتفاقيات جزء لا يتجزأ من التعاون الاقتصادى والفنى الشامل، ولوحظ أن كل هذه الاتصالات متعددة الأوجه تؤدى إلى فهم أفضل للشعوب, وتنمية العلاقات الودية بينهما .فى ظل الظروف التاريخية الجديدة للتنمية المستقلة فى البلدان الأفريقية ، وكان من الضرورى إنشاء آلية للتدريب عالى الكفاءة فى مختلف المجالات (13).

وقد وفر الاتحاد السوفيتى فرص التدريب لدول القارة من المتخصصين فى جامعاتهم , . ومن ناحية أخرى من أجل تطوير فعال للتعاون مع دول القارة ،كان من الضرورى معرفة أكبر قدر ممكن عنهم ودراسة تاريخهم ولغاتهم وميزات النظم السياسية والعقلية والتقاليد والثقافة .

لقد كانت أهمية الاتجاه الأفريقى للاتحاد السوفيتى واضحة ، فقد تطورت بسرعة فى إطار المؤسسات العلمية والمؤسسات العامة ، فضلاً عن هياكل الدولة ، التى يمكن أن تسترشد بمعلومات أكثر موضوعية .فى هذه المرحلة ، ولدت النزعة الأفريقية السوفيتية ، والتى أصبحت واحدة من أهم فروع العلوم التاريخية الحديثة .فى الحقبة السوفيتية ، وقد أولى الأفارقة اهتماماً خاصاً لدراسة المشكلات المرتبطة بالتنمية الاقتصادية للبلدان الأفريقية ، والتغلب على التخلف ، وخصائص الهيكل الاجتماعى والسياسى لبلدان القارة ، ونتائج الاستعمار ، ومشاكل القبلية ، وتشكيل الأمم ، والسياسة الوطنية ، وكذلك دراسة نضال التحرر الوطنى (14).

كما إن مصالح الاتحاد السوفيتى كانت تملى قبل كل شيء ، تطوير مفاهيم التنمية غير الرأسمالية والتوجه نحو الاشتراكية ، للحفاظ على الدول الصديقة للسوفيت ، لجذب الدول الأفريقية إلى دائرة النفوذ السوفيتى ، وبالفعل بفضل سياسة الدولة ، تطور الاتجاه الأفريقى القوى فى العلوم السوفيتية وتحققت نجاجات كبيرة فيها منذ آواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات ، بدأ أول طلاب من أفريقيا فى القدوم إلى الاتحاد السوفيتي وتشكيل المثقفين الأفارقة الجدد , .فهم بمثابة قائد الأيدلوجية السوفيتية فى بلدانهم ,ونشر الفكر الشيوعى.

وكان الكثيرون مشبعين بتعاطف صادق مع الاتحاد السوفيتى الذى ساعد فى إنشاء وتطوير نظم التعليم الوطني فى البلدان الأفريقية (15).

وفى السنوات الأولى بعد الاستقلال ، فقد أعطى السوفيت لدول القارة المزيد من الاهتمام للنمو الكمى للمتخصصين ، والقضاء على الأمية ومشاركة النساء فى عملية التعليم ، فضلاً عن تدريب الموظفين المؤهلين سواء أصحاب شهادات متوسطة أو جامعية, وساعد الجانب السوفيتى للتغلب على الصعوبات التى واجهت بناء الأنظمة التعليمية الوطنية، بشكل

رئيسى من خلال المساعدة المالية ، بشكل عام ابتدأ من 1957 وبمساعدة الاتحاد السوفيتى ، تم تدريب 400 ألف من العمال المهرة من بين المتخصصين الأفارقة, وتخرج حوالى 25 ألف شخص من مؤسسات التعليم العالى والثانوى فى الاتحاد السوفيتى . فى 15 دولة أفريقية ، وبهذه المساعدة تم بناء مؤسسات التعليم العالى والثانوى الاحترافية (16).

وقد أصبح الاتحاد السوفيتى مثال جذب للدول الأفريقية وذلك لعدة أسباب : (أولاً) قدم الاتحاد السوفيتى مساهمة حاسمة فى الانتصار على النازية فى الحرب العالمية الثانية .لذا عند اختيار الاتحاد السوفيتى ، فهذا يعنى أن الدول الأفريقية اختارت حليفاً قوياً بما فى ذلك المجال العسكرى ، (وثانياً) رأوا فى الاتحاد السوفيتى مصدراً للمساعدة ، بما فى ذلك المساعدة المادية لذا اعتمدت البلدان الأفريقية على التجربة السوفيتية فى مبادئ التصنيع ، لذا كان البناء الاشتراكى بديلاً جيداً للرأسمالية ، التى ارتبطت فى أذهان الأفارقة بالإستعمار (17).

فقد كتب جميع العلماء الغربيين تقريبا عن السياسة السوفيتية فى إفريقيا وإستراتيجية الكرملين المتمثلة فى الاستحواذ أو التواصل مع القارة ، وقد تبلورت التوجهات الرئيسية للاتحاد السوفيتى تجاه أفريقيا من خلال اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، كذلك اجتماع مغلق لمجموعة من المستشرقين فى موسكو 28 أكتوبر 1958 وحضر الاجتماع مجموعة من الصحفيين ومسؤولين رفيعى المستوى من الحزب والحكومة ، وكانت الدعاية هى الأداة الرئيسية لنشر النفوذ السوفيتى فى إفريفيا ، وتم إعطاء الإذاعة الأولوية لوسائل الإعلام التى يستطيع الأفارقة الوصول لها . وارتبطت فعالية البث بشكل وثيق بالبث باللغات الأفريقية ، وتم تكليف لجنة الإذاعة الحكومية بتنظيم البث فى إفريقيا (18).

كذلك اللغات السواحلية والهوسا والامهرية وإبراز شخصيات من المراسلين الإفارقة الزنوج للراديو السوفيتى ، ثم توجيه دعوه من الخارج لمجموعة من المتخصصين لتنظيم البث بهذه اللغات من أجل ترويج المواد المطبوعة السوفيتية فى السوق الإفريقية ، وتم التخطيط لتنظيم نشر اللغات الاجتماعية والسياسية باللغات السواحلية والأمهرية والهوسا ، بما فى ذلك " سلسلة من الكتيبات المصورة التى تظهر الانجازات الاقتصادية والعلمية والثقافية للشعوب

السوفيتية "وخاصة آسيا الوسطى والقوقاز ، وتم إنشاء شبكة تابعة لمكاتب تاس TACC والصحف المركزية السوفيتية فى البلدان الإفريقية .

قائمة المراجع

1. بروستر. ك. ديني ؛ نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة د. ودودة عبد الرحمن بدران، مراجعة شويكار محمد زكي ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، ط (1) ، سنة 1991.

أيضاً أحمد الظاهري؛ أفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال، ج(1)، مكتبة الآداب، القاهرة، 1998.

كلود فوتييه ؛ أفريقيا للأفريقيين ، ترجمة أحمد كمال يونس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978.

2. Брутенц К.Н. Тридцать лет на Старой Площади. М., 1998.
3. Мазов С.В. Политика СССР в Западной Африке, 1956-1964: неизвестные страницы истории холодной войны. М.: Наука, 2008.
4. شوقي الجمل؛ الوحدة الأفريقية ومراحل تطورها "من مؤتمر أكرا 1958 – حتى مؤتمر الصناعة الأفريقي الأول بالقاهرة 1966".
5. Из доклада министра иностранных дел СССР А.А. Громыко на VI сессии Верховного Совета СССР о международном положении и внешней политике Советского Союза. 23 декабря 1960 г. // СССР и страны Африки. 1946 – 1962 гг. Документы и материалы. Т. 2: Сентябрь 1960 г. – 1962 г. М.: Политиздат, 1963.
6. Справка Отдела международных организаций МИД СССР «О тактике советской делегации при обсуждении Декларации о предоставлении независимости колониальным странам и народам на 1-й части XV сессии Генеральной Ассамблеи ООН в сентябре – декабре 1960 г.». 20 февраля 1961 г. // История Африки в документах, 1870 – 2000 / Под общ. ред. А. Давидсона. Т. 2: 1919-1960. М.: Наука, 2007.
7. Пономаренко Л.В., Зуева Е.Г. РУДН и Африка. М.: Изд-во РУДН, 2010.
8. СССР и страны Африки дружба, сотрудничество, поддержка антиимпериалистической борьбы). М.: Мысль, 1977.
9. Пономаренко Л.В., Зуева Е.Г. РУДН и Африка. М.: Изд-во РУДН, 2010.
10. Страны Африки – 2002. М.: Ин-т Африки РАН, 2002.
11. Нкрума К. Я говорю о свободе. М.: Изд-во иностр. лит., 1962.

---

[1]([1]) Брутенц К.Н. Тридцать лет на Старой Площади. М., 1998, с.213.

(2) بروستر. ك. ديني ؛ نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة د. ودودة عبد الرحمن بدران، مراجعة شويكار محمد زكي ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، ط (1) ، سنة 1991 ، ص 98.

أيضاً أحمد الظاهري؛ أفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال، ج(1)، مكتبة الآداب، القاهرة، 1998، ص ص 228 – 229.

(3) كلود فوتييه ؛ أفريقيا للأفريقيين ، ترجمة أحمد كمال يونس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978 ، ص ص 261 – 262.

(1) Мазов С.В. Политика СССР в Западной Африке, 1956-1964: неизвестные страницы истории холодной войны. М.: Наука, 2008. С. 21

(2) شوقي الجمل ؛ الوحدة الأفريقية ومراحل تطورها ، مرجع سابق ، ص 13.

[6] Мазов С.В. Политика СССР в Западной Африке, 1956-1964: неизвестные страницы истории холодной войны. М.: Наука, 2008. С. 21

(7) Там же с 22

иностранных дел СССР А.А. Громыко на VI сессии) Из доклада министра 8(
Верховного Совета СССР о международном положении и внешней политике Советского Союза. 23 декабря 1960 г. // СССР и страны Африки. 1946 – 1962 гг. Документы и материалы. Т. 2: Сентябрь 1960 г. – 1962 г. М.: Политиздат, 1963. С. 135 – 136.

(9) Справка Отдела международных организаций МИД СССР «О тактике советской делегации при обсуждении Декларации о предоставлении независимости колониальным странам и народам на 1-й части XV сессии Генеральной Ассамблеи ООН в сентябре – декабре 1960 г.». 20 февраля 1961 г. // История Африки в документах, 1870 – 2000 / Под общ. ред. А. Давидсона. Т. 2: 1919-1960. М.: Наука, 2007. С. 68 – 73

(10) Пономаренко Л.В., Зуева Е.Г. РУДН и Африка. М.: Изд-во РУДН, 2010. С. 4.

(11) ССР и страны Африки дружба, сотрудничество, поддержка антиимпериалистической борьбы). М.: Мысль, 1977. С. 8.

(12) Пономаренко Л.В., Зуева Е.Г. РУДН и Африка. М.: Изд-во РУДН, 2010. С. 12 – 13.

(13) Пономаренко Л.В., Зуева Е.Г. РУДН и Африка. М.: Изд-во РУДН, 2010. С. 7.

(14) Там же, с. 9

(15) Пономаренко Л.В., Зуева Е.Г. РУДН и Африка. М.: Изд-во РУДН, 2010. С. 11 – 12.

(16) Страны Африки – 2002. М.: Ин-т Африки РАН, 2002. С. 80.

(17) Нкрума К. Я говорю о свободе. М.: Изд-во иностр. лит., 1962. С. 94.

(18) Мазов С.В. Политика СССР в Западной Африке, 1956-1964: неизвестные страницы истории холодной войны. М.: Наука, 2008. С. 24